صفات الأصوات.

حاولنا في المحاضرة السابقة تحديد مكان اعتراض الهواء المندفع عبر تجاويف النطق نحو الخارج، وهو ما يعرف في الدراسات الصوتية بالمخرج، أو مكان تذوق الصوت عند الخليل. وقد لاحظنا أن هناك صوتا واحدا في اللغة العربية ينفرد بمخرجه وهو صوت الفاء (المخرج الشفوي الأسناني)، وبالتالي قد توصلنا إلى تحديد دقيق لهذا الصوت العربي؛ إذ يكفي الآن أن نقول: الصوت الشفوي الأسناني، فينصرف الذهن إلى صوت الفاء.

أما بقية الأصوات العربية فليست تحظى بتحديد دقيق بعد، إذ أنها موزعة على بقية المخارج، بمعنى أنّ كل مجموعة منها تشترك في المخرج؛ حتى أنّ مخرجا واحدا يضم سبعة أصوات؛ هو المخرج الأسناني اللثوي.

هذا بالنسبة للصوامت، أما الصوائت (الحركات) التي قلنا من قبل أنّها لا مخرج لها، أو كما قال الخليل: هاوية أو هوائية لا يتعلق بها شيء، هذه الأصوات لم نضبطها بعد بأي شكل من الأشكال، و الدرس الصوتي يقتضي ذلك للإحاطة بأصوات اللغة.

ويعني هذا أن علينا تتبع حركات جهاز النطق أثناء إنتاج الصوت، والوقوف على الآثار السمعية المترتبة عن تلك الحركات، حتى نتمكن من ضبط كيفية حدوث الصوت، أي كيفية نطق الصوت، وسنأخذ ذلك في محورين:

أولا: صفات الأصوات.

ثانيا: وصف تكوين الأصوات العربية الفصيحة.

أما الثاني فهو للمحاضرة القادمة، ونأخذ الآن بجوانب صفات الأصوات.

Scanné avec CamScanner

1-تعريف الصفة:

الصفة في اللغة مصدر (اسم المرة) من الفعل وصف، يصف، وصفًا، و صِفَةً، وهي ما قام به الشيء من المعاني كالبياض والسواد.

أما اصطلاحا فالصفة هيئة ثابتة للصوت، تعرض له عند حصوله في المخرج.

وقد حدّها الخليل بأنها السمات السمعية التي تختلف من صوت لآخر. ولكنها في الحقيقة أكثر من ذلك، أي أن ما نسميه نحن صفات الأصوات ليس فقط ما يتعلق بالصفات السمعية، بل أيضا بالصفات التي تُنْسَب إلى جانب النطق، وأحيانا إلى الجانب الفونولوجي. وسنشير إلى ذلك في حينه.

وقد عرض اللغويون العرب القدامى لصفات الأصوات، وعرض لها أيضا علماء التجويد، وعلماء القراءات القرآنية، وضربوا فيها بسهم وافر، وإن كنا لا نجد لهم تعريفا واضحا للصفة، فإننا من خلال درسهم نستطيع أن نقول أن الصفة بالنسبة إليهم هي كل سمة مميزة للصوت عن غيره من الأصوات، وبخاصة ما شاركه في المخرج. ولهذا السبب نرى كثرة الصفات عند القدماء حتى أنها وصلت عند بعضهم إلى أربعة وأربعين صفة. واستقر رأي الجمهور على أنها تسعة عشر صفة.

أمّا عند المحدثين فالصفات هي العمليات العضوية التي تحصل أثناء النطق بالصوت من الحنجرة وحتى أذن السامع، وهي على العموم تتعلق بأمرين:

أ-حالة الأوتار أثناء مرور الهواء من حيث الاهتزاز وعدم الإهتزاز.

ب-حالة أعضاء النطق المسؤولة مباشرةً عن النطق.

ومع اختلاف المنطلقات والأهداف بين القدماء والمحدثين، ومع اختلاف الأدوات والوسائل التكنلوجية، نجد اختلافا واضحا بينا في بعض الصفات خاصة من حيث المصطلح. ويمكن القول باطمئنان أنّ المفاهيم متوازية، حتى لا نقول متطابقة في كثير من الأحيان.

Scanné avec CamScanner

ونتناول الآن صفات الأصوات العربية، حسب مصطلحات ومفاهيم المحدثين، مع الإشارة إلى مصطلحات القدماء إن وجد اختلاف في المصطلح أو في المفهوم.

تظهر صفات الأصوات عند المحدثين بحسب تقسيمين شهيرين؛ الأوّل بحسب اهتزاز/أو عدم اهتزاز الأوتار الصوتية، والثاني بحسب حالة ممر الهواء أثناء النطق بالصوت.

أوّلا:

سبق أنْ ذكرنا أن الأوتار الصوتية تأخذ أربع حالات أثناء مرور الهواء بها؛ وهي:

أ-حالة الوشوشة، وتحدث نتيجة تصلب الأوتار الصوتية وجمودها عند حالة الحديث بصوت منخفض، أي يأخذ الوتران وضعا لا يتغيّر أبدا مهما تغيّر الصوت. وهذه بالتالي لا تهمنا.

ب-حالة الجهر، وتحدث نتيجة اهتزاز الوترين الصوتيين عند مرور الهواء بهما، مع كونهما أكثر اقترابا من بعضهما مقارنةً بالحالات الأخرى، بمعنى أنه يحدث تضييق بين الوترين، ويسمى الصوت الصادر حينها صوتا مجهورا.

جـ-حالة الهمس، وتحدث بتراخي الوترين الصوتيين، فيمرّ الهواء بينهما دون أن يحصل أيّ اهتزاز بهما.

د-حالة لا جهر ولا همس، وهي حالة همزة القطع العربية التي تحدث نتيجة انطباق الوترين، وعندها لا يحصل شرط الجهر وهو الاهتزاز، ولا يحصل شرط الهمس وهي تراخي الوترين.

فأولى الصفات إذن هي: الجهر والهمس، وهما صفتان لكل لغات العالم دون استثناء.

والجهر كما قلنا هو حصول تضييق بين الوترين، بحيث لا يسمحان للهواء بالمرور بينهما دون اهتزازهما، ويسمى اهتزاز الوترين بالذبذبة، ويرافقه انقباض في فتحة المزمار، واندفاع الهواء بشدة.

Scanné avec CamScanner

والأصوات المجهورة في العربية المعاصرة هي : الباء، والجيم، والدال، والذال، والراء، والزاي، والضاد، والظاء، والعين، والغين، واللام، والميم، والنون، بالإضافة إلى كل الحركات الأخرى، سواء القصيرة منها أو الطويلة، وبالإضافة أيضا إلى أنصاف الصوامت: الواو والياء.

وأما الهمس فهو تراخي الوترين الصوتيين بحيث يسمح للهواء بالمرور بينهما دون حدوث اهتزاز، ويخرج الهواء دون اندفاع.

والأصوات المهموسة كما ننطقها الآن في عربيتنا المعاصرة هي: الحاء، والثاء، والتاء، والشين، والسين، والفاء، والخاء، والكاف، والهاء، والصاد، والطاء، والقاف.

وأمّا الهمزة فسبق أن شرحنا حالتها، فهي حالة لا جهر ولا همس.

ولا نبرح قبل أن نذكر الاختلاف الطفيف الواقع بين القدماء والمحدثين، وهو اختلاف في أصوات ثلاث هي: القاف والطاء والهمزة.

أمّا الهمزة فما زال الاختلاف فيها واقعًا إلى الآن، بين قائل بهمس، وقائل بجهر، وقائل بلا جهر ولا همس.

أما القاف والطاء فاعتبرها القدماء مجهورة، ونحن ننطقها الآن مهموسة، ومعلوم أن القاف تنطق في العربية المعاصرة بصور كثيرة مختلفة، فلا نستبعد إذن أن تكون خضعت لتطور لغوي. وبالنسبة للطاء فقد يكون أنهم توهموا فيه الجهر لاتصافه (صوت الطاء) بكل صفات القوة كالشدة والاستعلاء والتفخيم.

ثانيًا:

أما التقسيم الثاني وهو بحسب حالة ممر الهواء؛ فينتج عنه قسمان كبيران؛ هما: الأصوات الوقفية، والأصوات الاستمرارية.

Scanné avec CamScanner

ونقصد بالأصوات الوقفية تلك الأصوات التي يحصل فيها توقف الهواء عند مخرج الصوت، ونقصد بالأصوات الاستمرارية تلك الأصوات التي لا يتوقف الهواء في أيّ نقطة من نقاط جهاز النطق، مع وجود اعتراض للهواء، وجدير بالذكر قبل كل شيء أنّ هذا النوع من الصفات يختص بالصوامت، أمّا الصوائت فلا يحصل فيها أيّ اعتراض للهواء، وذلك شرطها الأساسي.

الفرق الأساسي بين الأصوات الوقفية و الاستمرارية، هو توقف تيار الهواء توقفا تاما مدة الزمن، عند إنتاج الأصوات الوقفية، واستمرار تدفقه وعدم انقطاعه، مدة نطق الصوت الاستمراري. وبالتالي فالصوت الوقفي يتم في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: التقاء عضوين ناطقين التقاءً تاما يمنع تيار الهواء من سيرورته.

المرحلة الثانية: حَبْس تيار الهواء مدة من الزّمن.

المرحلة الثالثة: إرسال العضوين الناطقين، والسماح لتيار الهواء بمتابعة سيره.

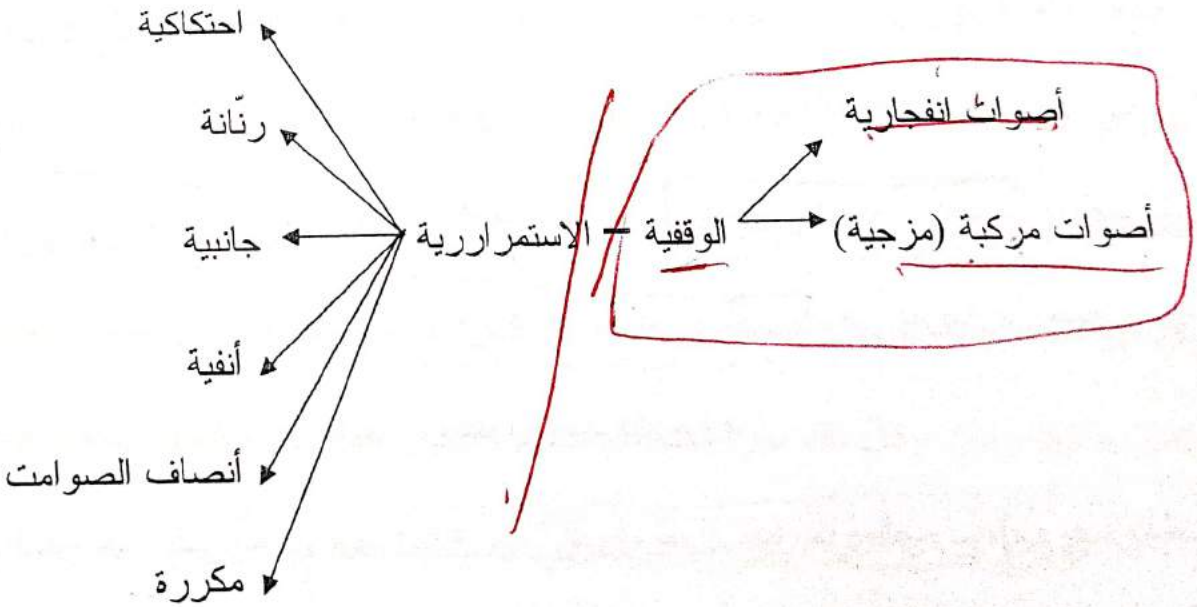

ونفصّل هذه الصفات قليلا:

أما الانفجارية فهي أصوات تتوفّر فيها المراحل الثلاث للصوت الوقفي، مع وجوب خروج الهواء فجأة وبسرعة، محدثا انفجارًا هو ذاك الصوت الذي نسمعه. والفرق بين الانفجاري والمركب هو أنّ

Scanné avec CamScanner

المرحلة الثالثة في المركّب، تختلف عنها في الانفجاري، إذ يخرج الهواء في المركب بشكل احتكاكي، أي أن العضوين الناطقين ينفرجان ببطء، فهذا النوع من الأصوات هو مزج بين الانفجار والاحتكاك، ولذلك تسمى أحيانا أصواتا مزجية.

و الأصوات الانفجارية في العربية المعاصرة هي: الباء، والتاء، والدال، والضاد، والطاء، والكاف، والقاف، والهمزة. وهنا نجد فرقا بين وصف القدماء، ووصف المحدثين. فقد وصف أسلافنا الضاد بأنها صوت رخو، ويستبعد هنا احتمال أنهم أخطأوا، إذ أنهم كانوا يميزون بين الأصوات الوقفية والاستمرارية، وعلى ذلك فالضاد القديم كان صوتا رخوًا، أي أنّ الضاد المعاصر هو صورة متطورة عن الضاد القديم. و واضح من وصف القدماء للضاد من خلال مخرجه وبقية صفاته أنه من الصعوبة بمكان أن يكون صوتا انفجاريا، خاصة حسب مخرجه.

و الصوت المركب في العربية فهو صوت الجيم.

ويقابل الوقف مصطلح الشدة عند القدماء والأصوات الشديدة عند القدماء هي: (أجدك طبقت).

أما الأصوات الاحتكاكية فهي التي يحصل فيها اعتراض للهواء وتضييق في مجراه، مع احتكاك الهواء بجدران العضوين الناطقين، وتكون حجرة النطق في الأصوات الاحتكاكية ضيقة جدا مع هيجان الهواء. والأصوات الاحتكاكية في العربية المعاصرة هي: السين والزاي والصاد (الأصوات الصفيرية)، والشين والذال والثاء والفاء والهاء والجاء والخاء والغين. وهي تقريبا ما أطلق عليه القدماء: الرخاوة. وسبق أن ذكرنا أنّ القدماء وصفوا الضاد بالرخاوة.

أمّا الأصوات الأنفية فهي التي يحدث فيها إغلاق ممرّ الهواء طول مدة إنتاج الصوت، مع عدم توقف الهواء بل يغيّر مساره إلى الحجرة الأنفية التي تكون قد انفتحت ليمرّ تيار الهواء منها، ويمثلها في العربية صوتا: النون والميم.

Scanné avec CamScanner

ويتم إنتاج الأصوات الجانبية بإغلاق الممرّ الأمامي لتيار الهواء، مع فتح مسرب بديل على جانبي اللسان، ويظل سريان الهواء مستمرا دون توقف، وهو الأمر الذي يحول دون وصف هذه الأصوات بالوقفية، وبهذه الطريقة يحدث اللام العربي (المرقق و المفخم).

وتحدث بعض الأصوات بطرق مستدق اللسان خلف اللثة، أو بطرق اللهاة جدار اللسان، وتسمى هذه الأصوات أحيانا بالطرقية، ولكنها مشهورة تحت تسمية التكراريات، أو الأصوات التكرارية ومنها صوت الراء العربي الفصيح، الذي يحدث نتيجة وجود اضطراب الهواء وهيجانه وممارسته لضغط شديد داخل حجرة الفم، ولما كان مستدق مرناً جدا فإنه يستجيب للضغط ويتجه إلى أقرب نقطة وهي خلف اللثة فيطرقها ويعود بمرونة عالية إلى وضعه الأصلي، فإذا كان الضغط داخل الفم شديدا يقوم اللسان بطرقة أخرى، وهكذا إلى أن يخفّ الضّغط. والتكراريات على العموم هي صوت الراء في كل اللغات، ولذلك تسمى أيضا بالرائيات.

وتختلف أنصاف الصوامت عن الاحتكاكيات في أن التضييق الحاصل في أنصاف الصوامت غير كاف لإحداث الاحتكاك، وتسمى أيضا بالأصوات التقريبية؛ وهي التي تقبل التحول من صوت لآخر وذلك نلاحظه في العربية من خلال الإعلال، أي انقلاب حروف العلة إلى بعضها البعض.

وأنصاف الصوامت في العربية هي: الياء كما في (يد)، والواو كما في (ولد).

وبهذا يبقى معنا صوت عربي واحد هو صوت العين الذي نأخذ فيه بقول الدكتور سمير شريف استيتية بأنّ العين صوت رنّان، وقبل ذلك نورد اختلاف الباحثين العرب بشأن هذا الصوت العذب الجميل:

1- وصف القدماء صوت العين بأنه صوت متوسط (بين الشديد والرّخو)، وصنفوه إلى جانب اللام والراء والميم والنون، بمعنى أنهم كانوا يدركون جيدا معنى كون هذا الصوت متوسطا، ذلك أن أصوات (لم نر) هي فعلا ليست أصوات احتكاكية وليست انفجارية، وهذا معناه أنهم محقون في ذلك التصنيف.

Scanné avec CamScanner

2- قال سيبويه في العين بأنها بين الرخوة والشديدة تصل إلى الترديد فيها، وهي إشارة إلى ترديدها العالي، مثل ذلك ما أشار إليه الخليل من أنها صوت ناصع.

3- وصف معظم المحدثين العين بأنّه النظير المجهور للحاء، بمعنى أنّه صوت احتكاكي.

4- وصف سلمان العاني صوت العين بأنه صوت انفجاري، ويمكن ردّ ذلك بيسر، وربما كان الشاهد الذي قاس عليه العاني أجنبيا أو واقعا تحت تأثير لغة أجنبية وحتى لهجة محلية، وعندها ينطق هذا الصوت بما يشبه همزة القطع.

5- وصف الدكتور كمال بشر العين بأنه أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكا، وقال بأنّ في تكوين العين غموض لم يبدُ له بعد، و من النادر أن يستطيع شخص أجنبي نطقه بشكل سليم.

وأمّا استيتية فيصف العين بأنّها صوت "رنّان"، ويفرّق بين الصوت الاحتكاكي و العين الرّنان بما يلي:

1-أن العين صوت تقريبي، أي أنّ التضييق الحاصل فيها غير كاف لإحداث الاحتكاك.

2-درجة توتر الصوت الرنّان عالية جدا، وتفوق توتّر أي صوت آخر، وهو متوفر جدا في العين، والحاء التي تشارك العين في المخرج لا تقارن أبدا في توترها بالعين.

3- الصوت الرنّان من أوضح الأصوات سمعيا، ويفوق كل الأصوات الاحتكاكية وأغلب الانفجاريات، ويقارب الحركات أو يساويها، وهي الأوضح سمعيا. وهذا متوفر في العين العربي.

4- أنّ حجرة نطق الصوت الرنان تكون عند النطق أوسع من الحجرة الحنجرية، وهذا أيضا ملاحظ في العين.

وبهذا نرصد العين في قائمة الأصوات الرنّانة.

وأخيرا، نود الإشارة إلى بعض الصفات التي ذكرها القدماء ولم يتحدث عنها المحدثون؛ وهي:

Scanné avec CamScanner

1- الاستطالة: ولـــها صوت واحد: ض، واستطال هذا الصوت لأنه كما وصفه سيبويه: من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد, أي استطال مخرجها من حافة اللسان من الأضراس إلى مقدمة اللسان , فسميت الضاد مستطيلة لاستطالة مخرجها .

2- التفشي: ولـــها صوت واحد: ش، بمعنى الصوت الذي انتشر في الفم, وهو خاص بالشين فقط. والحقيقة أنه لو دققنا أو دخلنا في التفصيل لوجدنا أنه قد يدخل غير الشين أيضاً صفة التفشي إذا أخذنا بالمعنى اللغوي أو بدلالة اللفظ, ولكن اصطلحوا على أن الصوت المتفشي إذا أطلق فإنه يراد به الشين فقط.

3- الصفير: ولـــها ثلاثة أصوات: ص, س, ز، وهذه الأصوات سميت بالصفير لما يصاحب نطقها من صوت كالصفير, والصفير صوت معروف، ويحدث الصفير نتيجة اندفاع الهواء بين الثنايا العليا.

4- الغنة: ولـــها صوتان: ن, م، وسميت بأصوات الغنة لأن الهواء يخرج معها من الخيشوم .

5- القلقلة:

والقلقلة في اللغة: كما يقول عنها الخليل شدة الصياح، شدة الصوت.

والقلقلة: هي نطق الأصوات الشديدة المجهورة في حال السكون بما يشبه النبرة، وحصول اضطراب في المخرج مما يجعل الوقوف على هذه الأصوات في حال السكون عسيرًا جدًا. وأصوات القلقلة هي: (قطب جد) أي خمسة أصوات وبعضهم يضيف الهمزة، وهو خطأ. كما أن بعضهم – وهو سيبويه – أضاف إلى أصوات القلقلة التاء، وهو أيضاً على خلاف رأي الجمهور،لأن التاء أصلاً مهموسة، وأضاف المبرد إلى أصوات القلقلة الكاف، وهي أيضاً مهموسة.

والذي استقرّ عليه رأي الجمهور من لغويين وعلماء تجويد هو أن أصوات القلقلة " قطب جد" إذن الهمزة لا تعتبر من أصوات القلقلة, وإن رأى بعضهم ذلك؛ لأن هذا الرأي يخالف رأي الجمهور .

Scanné avec CamScanner

وكذلك التاء لا تعتبر من أصوات القلقلة، وإن رأى سيبويه ذلك؛ لأنـــها ليست مجهورة، كذلك الكاف لا تعتبر من أصوات القلقلة وإن رأى المبرد ذلك؛ لأنـــها ليست مجهورة .

6-<u>التفخيم والترقيق</u>: (باعتبار وضع مؤخر اللسان).

والتفخيم: هو تعظيم الصوت في النطق حتى يمتلئ الفم بصداه، ولو قارنا بين نطق كل من الصوتين(ص, س) في كلمتي أصْعب وأسْلم لتبيّن لنا كيف أن الصاد تملأ الفم بصداها بخلاف السين, ويرتفع مؤخر اللسان نحو الحنك الأعلى مع الصوت المفخم، فإن وصل إلى الحنك الأعلى وانطبق عليه سمي إطباقاً، وهذا يعني أن الإطباق جزء من التفخيم، وليس كل المفخمات تصل إلى درجة الإطباق .

وأصوات الإطباق هي: ص, ض, ط, ظ .

وبما أن مؤخر اللسان يستعلي نحو الحنك الأعلى فإن العرب يسمون التفخيم استعلاء. والتفخيم أعم من الاستعلاء, فكل إستعلاء تفخيم, وليس العكس.

والتفخيم ينقسم إلى قسمين:

1- قسم يفخم دائماً وهو الذي قيل عنه استعلاء .

2- قسم يفخم أحياناً ويرقق أحيانا، وهما: الراء واللام.

ودائم التفخيم (الاستعلاء) أصواته سبعة وهي : ص، ض، ط، ظ، ق، غ، خ، وجمعوها في قولهم (خص ضغط قظ)، وينقسم إلى قسمين:

أ- كاملُ الاستعلاء، ويسمى إطباقاً، وأصواته أربعة: ص، ض، ط، ظ.

ب- ناقصُ الاستعلاء، وأصواته ثلاثة وهي: ق، غ، خ.

وبعض الأصوات المفخمة أعلى في التفخيم من بعض، وقد رتبها العرب وجعلوا الطاء أعلاها، ثم الضاد، ثم الصاد، ثم الظاء، ثم القاف، ثم الغين، ثم الخاء.

Scanné avec CamScanner